# عملية «شدّ الحبال»

مثلما تعدّدت الآراء وتفاوتت في تقدير نتائج الاتصالات والمشاورات بين الوفود العربية والاسرائيلية، خلال الشهرين الماضيين، تعدّدت الآراء في الحكم على الدور الذي قام به «الراعي» الاميركي؛ كما تفاوتت التوقّعات في شأن الدور المقبل الذي سيقوم به خلال جولة المباحثات التالية؛ حتى ان البعض تساءل عن حجم، وفعالية، ذلك الدور في ضوء تعدّد اهتمامات ومشاغل الادارة الاميركية في الداخل والخارج، على حدّ سواء.

هذه الحقيقة، في حد ذاتها، جعلت عدداً كبيراً من المراقبين والخبراء والمحلّلين يهرعون الى طرح أسئلة، تركّزت، في الاجمال، على الانعكاسات الحالية، والمرتقبة، على نتائج مفاوضات السلام، بعد ان لمس الجميع الفرق الكبير بين مؤتمري مدريد وواشنطن. ففي العاصمة الاسبانية، كانت اليد الاميركية قابضة مباشرة على كل ما يحدث في مؤتمر السلام، لكنها غابت، على الأقل علناً، في العاصمة الاميركية مع بدء الجولة الثانية من المفاوضات الثنائية بين كل من الاطراف العربية المعنيّة والطرف الاسرائيلي. بل ان البعض تساءل هل وهنت حماسة وعزيمة «الراعي» الاميركي، أم ان ما يجرى هو سياسة مرسومة ومقصودة لوضع جميع الاطراف تجاه مسؤولياتها، ودفعها الى التفاوض مباشرة، من دون تدخلات خارجية؟

الظاهر الذي لاحظه الجميع واختلف في تفسيره، هو ان ثمّة تحوّلاً من «حرارة مدريد» الى «برودة واشنطن». ففي العاصمة الاسبانية، حدّد الرئيس الاميركي، جورج بوش، في افتتاح المؤتمر، الأهداف النهائية للمفاوضات بين أطراف النزاع العربي ـ الاسرائيلي، داعياً الى تسوية شاملة وعادلة، وراسماً دور بلاده كوسيط نشط للمساعدة ليس في بلورة المواقف المتعارضة فحسب، بل في رسم الخطوط العريضة للتسوية أيضاً، لكنه ترك لأهل المنطقة مسؤولية بناء نظام جديد (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٢ ـ ٣/١١/١٩٩١). كما ان وزير خارجيته، جيمس بيكر، كان واضحاً وصريحاً، في كلمته التي اختتم بها المؤتمر، حين قال: «ان الولايات المتحدة الاميركية مستعدة لأن تكون القوة المحفّزة وشاحنة الطاقات والقوة المحرّكة في عملية التفاوض»؛ وان دور بلاده، في هذه العملية، يستند الى المبادىء التي أعلنها الرئيس بوش في آذار (مارس) الماضي، «وهي ستبقى حجر الزاوية الذي يقود مشاركتنا في عملية التفاوض». وقال أيضاً: «ان الولايات المتحدة الاميركية ستكون وسيطاً نزيهاً. لدينا مواقفنا وآراؤنا في شأن عملية السلام، ولن نتخطى حقوقنا بتعداد هذه المواقف. ولكن كوسيط صادق لديه خبرة ناجحة في مفاوضات الشرق الاوسط، نعلم، أيضاً، ان مساهمتنا الحسّاسة ستكون، في غالب الأحيان، تأثيراً واقناعاً هادئاً وراء الكواليس». وأضاف: «لا يخطىء أحد في تفسير دورنا كوسيط نزيه ويظن اننا سنغيّر مواقف السياسة الاميركية، أو نخفض تصميمنا على مساعدة الاطراف في التوصل الى حلول للمشاكل، مقبولة لدى الجانبين» (**المصدر نفسه**، ٥/١١/١٩٩١).

ولكن، على الرغم من ذلك، فان ما بدا بوضوح هو ان الادارة الاميركية لا تزال تعتمد أسلوب «الغموض البنّاء» الذي سار عليه وزير الخارجية الاميركية منذ جولاته الاولى على المنطقة. والهدف، بالطبع، حدّدته واشنطن وأعلنته غير مرة، وهو ان لا تدخّل في فرض حلول، أو في رسم تسويات. فهي تعتقد بأن جلوس المتفاوضين في غرفة واحدة للنقاش هو الذي سيطوّر معالم الحلول وخطوط التسويات الممكنة؛ وليس على اللاعب الاميركي الّا ان يجلس في غرفة مجاورة للمراقبة والاستماع والتدخّل، عند الضرورة، «لفضّ أي اشتباك» قد ينشأ بين الاطراف المتنازعة. أي ان الادارة التي أعطت